الموساد: قصة إخفاقات وانتهاك لكل سيادة

22-7-2004

إن عناصر من الموساد يتخفون في العراق تحت أسماء مستعارة ويحملون جوازات سفر أمريكية أو أوروبية ويعملون في مجالات تحمل شعارات إنسانية واجتماعية وصحية وتربوية وإعلامية، مشيرا إلى أن العقل المدبر في الشركات النفطية والاقتصادية والذي يدير نشاطها الداخلي والخارجي هو إسرائيلي

بقلم **وسام عفيفة**

أصبحت مؤسسة الاستخبارات والمهمات الخاصة الإسرائيلية (الموساد)، عرضة أكثر من أي ذراع آخر للاستخبارات الإسرائيلية للأخطاء التي تثير الفضائح الدولية، وكان آخرها أزمة الجاسوسين الإسرائيليين في نيوزلندا، اللذين حكمت عليهما بالسجن لستة أشهر والغرامة المالية.

طيلة 53 سنة من وجودها استخدمت الموساد، غالبات بنجاح، الحيل التي جرى تطويرها بشكل متواصل لتبلغ مستوى التفنن. لكن وحسب مصادر أمنية إسرائيلية كل هذا تغير منذ 11 أيلول.

وكان بوسع نيوزيلاندا ظاهريا، وبالذات باسم الحرب على الإرهاب الدولي، أن تبدي تفهما لدوافع العملية التي قام بها رجال الموساد على أراضيها، والتي لم تكن موجهة ضد حكومتها أو شعبها، لكن الهجمات في الولايات المتحدة والتخوف من أعمال "الإرهاب"، شددت اليقظة لدى دول عديدة في العالم والحساسية للمس بسيادتها ومحاولات تضليل أجهزة سلطتها. في الماضي كانت الحكومات تميل إلى التغافل عن ممارسات غير قانونية لإسرائيل من قبل رجال الموساد، دون اتخاذ عقوبات شديدة والوصول إلى "صفقات" سرية منعت النشر المحرج.

ويبدو أن هذا العهد قد ولى. فسلسلة العمليات الفاشلة منذ 1997، في الأردن، سويسرا، قبرص واليوم نيوزيلندا، تكشف أن مسئولي الموساد يجدون صعوبة في استخلاص العبر ويتصرفون بمنطق الغطرسة الإسرائيلية. فالإخفاقات في الدول التي تعد صديقة (لإسرائيل) في الولايات المتحدة (جونتان بولارد)، بريطانيا وقبرص، تلحق أضرارا خطيرة للغاية بعلاقات الكيان الخارجية، وكذا بسمعة وقدرة الاستخبارات الإسرائيلية..

وعليه فإن الأزمة مع نيوزلندا ليست هي المرة الأولى ولا الثانية ولا العاشرة التي تتورط فيها (إسرائيل) في أزمات مع دول بسبب رعونة تصرفاتها واعتبارها الدول الأخرى ساحة مستباحة لأجهزتها الاستخبارية، و يبدو أن إسرائيل لا تريد أن ترتدع عن هذه السياسية بل تعتبرها جزء أساس من "الدفاع عن الذات" كما قال داني ياتوم رئيس الموساد السابق في مقابلة مع التلفاز الإسرائيلي.

(إسرائيل) تتذرع بأنها دولة مستهدفة من قبل دول عربية وإسلامية وأن أعداءها كثر ومنتشرون في العالم، ومن ثم فإن "من حقها أن تجد الوسيلة الناجعة لملاحقة هؤلاء ومنع مخططاتهم ضد (إسرائيل)"، كما قال ياتوم. وكانت رئيسة الوزراء النيوزيلندية، هيلين كلارك قد وجهت انتقادات شديدة اللهجة لـ(إسرائيل)، وذلك في أعقاب قضية "جوازات السفر" التي انتهت بإدانة إسرائيليَين وفرض عقوبة بالسجن لمدة نصف عام على كل منهما، وأعلنت كلارك عن تجميد جميع زيارات المسئولين النيوزيلنديين إلى (إسرائيل(.

وفي أعقاب صدور قرار الحكم، أعلنت كلارك عن فرض عقوبات دبلوماسية على إسرائيل، ومنها إجبار كل الإسرائيليين الذين يرغبون في زيارة نيوزيلندا، سواء السياح منهم أو الموظفون الكبار، على الحصول على تأشيرة دخول إلى البلاد، وتجميد زيارات المسئولين الإسرائيليين الكبار للبلاد، وكذلك زيارات المسئولين النيوزيلنديين) لإسرائيل).

وقالت كلارك إنها رفضت طلب رئيس دولة (إسرائيل)، موشيه كتساف، زيارة نيوزيلندا في نهاية السنة الحالية، ومع ذلك، ادّعت مصادر في مكتب كتساف أنه لم يتم التخطيط لزيارة من هذا القبيل حتى الآن.

وكانت السلطات النيوزيلندية قد اعتقلت أوري كلمان (30 عامًا) وإيلي كرا (50 عامًا) في شهر آذار/مارس الفائت، للاشتباه بأنهما عميلان لجهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية (الموساد).

وتعتبر الدولة العبرية أن جوازات سفر بعض الدول "مستندًا جذابًا للغاية، لأنه يمكن بواسطته دخول دول معادية لإسرائيل بسهولة"، ولذلك فقد اجتهد الموساد الإسرائيلي في الحصول على الكثير منها ضمن محاولاته اختراق دول تعتبر معادية لإسرائيل أو تنفيذ عمليات اغتيال ضد نشطاء فلسطينيين أو عرب، الأمر الذي خلق أزمات عديدة بين تل أبيب وبعض العواصم. فقد سبق مقتل الموظف البريء "أحمد بوشيخي" في النرويج، والذي اعتقد الموساد أنه "علي حسن سلامة"، أحد أعضاء منظمة "أيلول الأسود" المسئولة عن مذبحة ميونخ في عام 1973. واستخدم الموساد جوازات سفر كندية مزوّرة لعملائه في مقتل هذا الرجل مما أثار غضب الحكومة الكندية. وفي العام 1997، ألقت السلطات الأردنية القبض على اثنين من عملاء الموساد، وتبين أن العملاء كانوا في مهمّة لاغتيال خالد مشعل أحد قياديي حماس. وللمرة الثانية، استخدم عملاء الموساد جوازات سفر كندية مزوّرة في الدّخول إلى الأردن مما أثار زوبعة دبلوماسية بين الحكومتين، الإسرائيلية والكندية. كما أن سوريا أحبطت محاولة للمخابرات الإسرائيلية لاغتيال مشعل والذي يعيش هناك، وجرى اعتقال خلية من عملاء (الموساد)، استخدموا جوازات سفر مزورة لدخول سوريا.

ونقلت تقارير صحفية عراقية قولها "إن عناصر من الموساد يتخفون في العراق تحت أسماء مستعارة ويحملون جوازات سفر أمريكية أو أوروبية ويعملون في مجالات تحمل شعارات إنسانية واجتماعية وصحية وتربوية وإعلامية"، مشيرا إلى أن العقل المدبر في الشركات النفطية والاقتصادية والذي يدير نشاطها الداخلي والخارجي هو إسرائيلي.

ويستفيد الموساد من وجود نصف مليون "إسرائيلي" يمتلكون جوازات سفر أمريكية

إلى جانب جواز سفرهم "الإسرائيلي"، مما يسهل لهم السفر إلى الخارج والانتقال بين الدول وإنشاء غطاء للموساد في العديد من الدول بجنسياتهم الثانية، وقد سبق أن استخدم الموساد جوازات سفر لدول مثل بريطانيا والنرويج وسويسرا، ورغم أن هذه الدول أبدت اعتراضها على تصرفات الموساد إلا أن هذا الأخير لم يتوقف رغم الأزمات الدبلوماسية التي نشبت بين الدولة العبرية وبين تلك الدول.

ومنذ أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، تحولت التهديدات –التي تطلق عليها الدولة العبرية- "الجهاد العالمي" ضد الأهداف اليهودية والإسرائيلية خارج البلاد إلى إحدى المسائل المركزية المطروحة على جدول أعمال الموساد خاصة وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية عموما.

الاستخبارات الإسرائيلية رأت نفسها منذ تأسيسها كأذرع لحماية العالم اليهودي بأكمله على أساس الافتراض أن إسرائيل دولة لليهود تحول استخباراتها إلى أجهزة لليهود.

والمقصود بالحماية هنا ليس حماية المؤسسات والمكاتب والشركات والإسرائيليين في الخارج، وإنما الدفاع عن اليهود غير الإسرائيليين وأملاكهم ومؤسساتهم أيضا.

في السنوات الأخيرة ألقي عبء حماية الجاليات اليهودية على الأجهزة المحلية خصوصا بعد تعزيز أوجه التعاون بين الموساد وهذه الأجهزة. هذا التعاون قائم حتى مع الدول التي لا تربطها بإسرائيل علاقات دبلوماسية. بيغن عبر في عام 1982 عن إحباطه من تكبيل أيادي الموساد عندما حدثت عملية المطعم اليهودي وحذر السلطات الفرنسية في حينه أن إسرائيل ستتولى المهمة إذا لم تعرف كيف تدافع عن مواطنيها اليهود.

في السابق كانت(إسرائيل) تتجرأ من خلال أجهزتها الأمنية على العمل لضمان سلامة الجالية اليهودية في بلد ما من دون أن تعرف السلطات المحلية بالأمر، وأحيانا في ظل الخلاف مع وزارة الخارجية الإسرائيلية. وأجهزة الأمن الإسرائيلية كانت مستعدة لتنفيذ خططها حتى لو ترتب على ذلك تخريب للعلاقات الدبلوماسية. و لم يتردد الموساد في إرسال حراس من صفوفه مزودين بالسلاح أو تدريب اليهود في دول مختلفة على السلاح والحراسة، إلا أن الوقت قد تغير. حيث إن دول كثيرة سترى في كل محاولة من هذا القبيل مساسا بسيادتها وستتخذ خطوات ضد رجال الأمن الإسرائيليين.